ابتليت بصحبته فاحترس وان عوفيت فاشكر الله على السلامة فان السلامة اصل كل نعمة لا تساعدني على ما يقبح بي ولا
تردن علي خطأ في مجلس ولا تكلفني جواب التشميت والتهنية ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف امسى وكلمني بقدر ما استنطقك
واجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني واعلم ان صواب الاستماع احسن من صواب القول واذا اسمعتك الحديث
فلا يفوتنك منه شيء وأرني فهمك اياه في طرفك ووجهك فما ظنك بالملك وقد احلك محل المعجب بما يسمعك اياه
واحللته محل من لا يسمع منه وما كل من هذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمتك ولا تستدعي الزيادة من كلامي بما
تظهر من استحسان ما يكون مني فمن اسوأ حالا ممن يستكد الملوك بالباطل وذلك يدل على تهاونه بقدر ما
اوجب الله تعالى من حقهم واعلم اني جعلتك مودبا بعد ان كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد ان كنت مع الصبيان
مباعدا فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه وقد قالوا من لم يعرف سوء ما اولي لم يعرف
حسن ما ابلي ثم قال ع وليكن كاتبك غير مقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك والاجابة عنها بحسن الوكالة والنيابة
فيك فيما يحتج به لك عليهم فان عقد لك عقدا قواه واحكمه وان عقد عليك عقدا اجتهد في نقضه وحله قال وان
يكون عارفا بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره ثم نهاه ان يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسة فيهم
وغلبة ظنه باحوالهم فان التدليس يتم في ذلك كثيرا وما زال الكتاب يتصنعون للامراء بحسن الظاهر وليس وراء
ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ولكن ينبغي ان يرجع في ذلك الى ما حكمت به التجربة لهم وما ولوه من قبل فان
كانت ولاياتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم هم والا فلا ويتعرفون لفراسات الولاة يجعلون انفسهم بحيث يعرف
لضروب من التصنع وروى يتعرضون ثم امره ان يقسم فنون الكتابة وضروبها بينهم نحو ان يكون احدهم للرسائل
الى الاطراف والاعداء والاخر لاجوبة عمال السواد والاخر بحضرة الامير في خاصته وداره وحاشيته ونفقاته
ثم ذكر له انه ماخوذ مع الله تعالى بما يتغابى عنه ويتغافل من عيوب كتابه فان الدين لا يبيح الاغضاء والغفلة عن الاعوان
والخول ويوجب التطلع عليهم واعلم ان الكاتب الذي يشير امير المؤمنين ع اليه هو الذي يسمى الان في الاصطلاح
العرفي وزيرا لانه صاحب تدبير حضرة الامير والنائب عنه في اموره واليه يصل مكتوبات العمال والمرسومين عليهم
وهو على الحقيقة كاتب الكتاب ولهذا يسمونه الكاتب المطلق وكان يقال للكاتب على الملك ثلاث رفع الحجاب
عنه واتهام الوشاة عليه وافشاء السر اليه وكان يقال صاحب السلطان نصفه وكاتبه كله وينبغي لصاحب
الشرطة ان يطيل الجلوس ويديم العبوس ويستخف بالشفاعات وكان يقال اذا كان الملك ضعيفا والوزير شرها
والقاضي جائرا فرقوا الملك شعاعا وكان يقال لا تخفض للامير مع رضا الكاتب ولا تثق برضا الامير مع
سخط الكاتب واخذ هذا المعنى ابو الفضل بن العميد فقال وزعمت انك لست تفكر بعدما علقت يداك بذمة
الامراء هيهات قد كذبتك فكرتك التي قد اوهمتك غنى عن الوزراء لم تغن عن احد سماء لم تجد ارضا ولا ارض
بغير سماء وكان يقال اذا لم يشرف الملك على اموره صار اغش الناس اليه وزيره وكان يقال ليس الحرب الغشوم
باسرع في اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها اهل النذالة ويزهد فيها اولو الفضل وكان يقال
لا شيء اذهب بالدول من اسناد الملك بالاشرار وكان يقال من سعادة جد المرء ان لا يكون في الزمان المختلط زمنا
للسلطان وكان يقال كما ان اشجع الرجال يحتاج الى السلاح واسبق الخيل يحتاج الى السوط واحد الشفار يحتاج الى
المسن كذلك احزم الملوك واعقلهم يحتاج الى الوزير الصالح وكان يقال صلاح الدنيا بصلاح الملوك وصلاح الملوك
بصلاح الوزراء ولا يصلح الملك الا بمن يستحق الملك كذلك لا تصلح الوزارة الا بمن يستحق الوزارة وكان يقال الوزير
الصالح لا يرى ان صلاحه في نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته وان تكون عنايته فيما
عطف الملك على رعيته وفيما استعطف قلوب الرعية والعامة على الطاعة للملك وفيما فيه قوام امر الملك من
التدبير الحسن حتى يجمع الى اخذ الحق تقديم عموم الامن واذا طرقت الحوادث كان للملك عدة وعيادا وللرعية كهفا
محتاطا ومنفذا لها محاميا ذابا يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها وكان يقال مثل الملك الصالح

اذا كان



اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء العذب الصافي فيه التمساح لا يستطيع الانسان وان كان سابحا والى الماء ظامئا
دخوله حذرا على نفسه قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي حين استخلف لو كنت كاتبي وردا لي على ما دفعت
اليه قال لا افعل ولكني سارشدك اسرع الاسماع وابطأ في التصديق حتى ياتيك واضح البرهان ولا تعملن نجيك
فيما تكتفي فيه بلسانك ولا سوطك فيما تكتفي فيه بنجيك ولا سيفك فيما يكفي فيه سوطك وكان يقال التقاط
الكاتب للرشا وضبط الملك لا يجتمعان وقال ابرويز لكاتبه اكتم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة و
عليك بالحذر فان لك علي ان لا اعجل عليك حتى استاني لك ولا اقبل فيك قولا حتى استيقن ولا اطمع فيك
احدا فتغتال واعلم انك بمنجاة رفعة فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه قارب الناس مجاملة من نفسك
وباعدهم مسامحة عن عدوك واقصد الى الجميل ازدراعا لغدك وتنزه بالعفاف صونا لمروتك وتحسن عندي
بما قدرت عليه احذر لا تسرعن الالسنة عليك ولا تقبحن الاحدوثة عنك وصن نفسك صون الدرة الصافية
واخلصها خلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعة لا تدعن ان
تدفع الى الصغير فانه يدل عن الكبير ولا تكتمن عني الكبير فانه ليس بشاغل عن الصغير هذب امورك ثم القني
بها واحكم امرك ثم راجعني فيه ولا تجترئن علي فامتعض ولا تنقبضن مني فاتهم ولا تعرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه
واذا انكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تعذر ولا تستعينن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن
التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تلبس كلاما بكلام ولا تبعدن معنى عن معنى واكرم لي كتابك عن ثلاث خضوع
يستخفه وانتشار يهجنه ومعان تعقد به واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على
كلام السوقة كبسطة الملك الذي تحدثه على الملوك ولا يكن ما نلته عظيما وما تتكلم به صغيرا فانما كلام الكاتب
على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه فانما جماع الكلام كله خصال اربع سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء
وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها واحد لم يتم
فاذا امرت فاحكم واذا سالت فاوضح واذا طلبت فاسمح واذا اخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك اخذت بجراثيم
القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يعجزك صادره اثبت في دواوينك ما اخذت واحص فيها ما اخرجت
وتيقظ لما تعطي وتجرد لما تاخذ ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء ولا الاناة عن التقدم ولا تخرجن وزن قيراط
عن حق ولا تعظمن اخراج الالوف الكثيرة في الحق وليكن ذلك كله عن مؤامرتي **الاصل** ثم استوص بالتجار وذوي
الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق
وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون
عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان
في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة
فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلعم منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين
من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف **الشرح** خرج ع الان الى ذكر التجار
وذوي الصناعات امره بان يعمل معهم الخير وان يوصي غيره من امرائه وعماله ان يعملوا معهم الخير واستوص بمعنى
اوص نحو قر في المكان واستقر وعلا قرنه واستعلاه يقول استوص بالتجار خيرا اي اوص نفسك بذلك ومنه قول
النبي صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا ومفعولا استوص واوص ههنا محذوفان للعلم بهما ويجوز ان يكون
استوص لي اقبل الوصية مني بهم واوص بهم انت غيرك ثم قسم ع الموصى بهم ثلاثة اقسام اثنان منها للتجار وهما
المقيم والمضطرب يعني المسافر والضرب السير في الارض قال تعالى اذا ضربتم في الارض وواحد لارباب الصناعات
وهو قوله والمترفق ببدنه وروى بيديه تثنية يد والمطارح الاماكن البعيدة وحيث لا يلتئم الناس وروى حيث
لا يلتئم بحذف الواو ثم قال فانهم اولو سلم يعني التجار والصناع استعطفه عليهم واستماله اليهم وقال ليسوا كعمال

Copyright … University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)